اين المجتمع الانساني من المثل الاعلى

لحضرة الاستاذ الفاضل صاحب التوقيع

كثيرا مايصاب المجتمع بنكبات صغرت دائرتها او كبرت تقعده زمنا عن التقدم وتجعل معاصري المحنة في شقاء عظيم . ولعل اكبر النكبات التي لحقت المجتمع منذ نشأته الى الان هي تلك الحرب العالمية الباقية ذيولها ممدودة من غير نهاية معروفة والتي سحقت ملايين الناس وتركت واسع البلدان العامرة بلقعاً دارساً ودمرت مالا يحصى من مرافق الاحياء وتركتهم في أشد العوز الى الحاجيات الأولى ولم تكتف بذلك فأثرت في اخلاقهم تأثيراً شديداً رجع بهم القهقري الى مئات السنين الغابرة .

غير ان علماء الاجتماع يقولون ان العالم الانساني سائر بتطوره ، مثل سائر العوالم الى الأمام من غير تقهقر فلننظر الى مجتمعنا ولنر أين هو في سيره نحو المثل الاعلى . يتناول نظرنا هنا أربعة امور .

(١) حقوق الامم

مازالت علاقات الأمم بعضها ببعض منذ القدم الى عهدنا هذا علاقات جور واغتصاب . يقهر القوي الضعيف وتبتلع الدولة العظمى الشعوب الصغيرة الضعيفة او تخضعهم في سبيل مصلحتها . ولا فرق في ذلك بين الامم العصرية المتمدينة والقبائل الغابرة المتوحشة الا في ان القبائل الغازية قديما كانت تقدر على السطو على جاراتها وتعمل السيف في الرقاب وتنهب وتسلب وهي تجاهر بان الحق للقوة . اما دول هذه الأيام الراقية فانها تستعمل القوة ايضاً ولكن من وراء ستار وتبرزها مطلية بطلاء المدنية الغشاش . ومافعل هذه القوة المتمدينة في الهدم والتخريب الا اضعاف تلك القوة المتوحشة .

اعتقدنا ، والبساطة تغشى ابصارنا ان الحلفاء الظافرين سيقلعون عن مبدأ الاستعمار ويتركون الشعوب الصغيرة وشأنها . ظننا هم يعملون بمبادىء ولسن التي اعلنوها

وسيف اعدائهم مسلول على رقابهم فاذا بهم وقد انتصروا لايريدون بديلا عما اعتادوه من الظلم . غير ان الشعوب الصغيرة تنبهت لنفسها فوحدت كلمة افرادها وأخذت تطالب بحق استقلالها بحكم نفسها ومَنْ منها لم يستقل بعد فلن يسكت الا والاستقلال في قبضة يده ان عاجلا او آجلا .

ولي رجاء وطيد انه سوف تتداعى هذه الحواجز الحصينة الفاصلة بين امة وأمة ويتضاءل التعصب للجنسية بل يتلاشى ويحل محله الاخاء والانسانية فتتعامل جميع الاجناس معاملة واحدة بدون تفضيل بين ياباني وامريكي او فرنسي والماني او انجليزي وهندي الى غير ذلك .

(٢) استقلال الشعوب

هذا من حيث حقوق الامم فيما بينها اما فيما يختص بحكم الشعوب منفردة فاذا نظرنا الى الماضي رأينا ان حكومة بني اسرائيل على عهد موسى كانت تيوقراطية أي ان الحكام كانوا ينسبون أحكامهم لله وما قبله الملوك في الشرق والغرب منذ ذلك العهد الى ايامنا هذه يدَّعون انهم يستمدون الملك من الله ويتوسلون بذلك لحكم الشعب بالقوة والاستبداد .

على ان الشعب تنبه لما هو فيه من ذل واستعباد وأنكر على الملوك مصدر ملكيتهم الالهي وشرع يحكم نفسه بنفسه بواسطة مجالس نيابية . وقد قضت هذه الحرب على الاوتوقراطية قضاء مبرماً فلن تقوم لها قائمة بعد وأصبحت جميع شعوب العالم المتمدينة دستورية ديموقراطية . هذا من حيث الادارة السياسية في البلاد أما من حيث الاقتصاد السياسي فما زال نظامنا قائماً على مبدأ تنازع البقاء بين الناس .

فقد انتقل المجتمع من طور الهمجية الشيوعية الى عهد الاقطاع ثم الى نظام الملكية الفردية السائد الآن ففي كل أمة عصرية نجد طبقة الملاك الغنية احتفاظاً بثروتها الى قوتها الاقتصادية وقبضت على زمام القوى السياسية والعسكرية والتشريعية ووضعت للاقتصاد السياسي نظماً أساسها الملكية الفردية وهكذا غدت الدولة في البلدان المتمدينة العصرية آلة في يد الطبقة الحاكمة تؤيد بها سياستها الاقتصادية وتملي ارادتها على الطبقات المحكومة المسترقة وأضحت مهمة الحكومة أن تسيّر

المجتمع لصالح الطبقة الحاكمة ـ طبقة أصحاب الملك لا لصالح الناس كافة . فأفضى هذا النظام الى تجمع الثروة وتضخمها بين أيدي عدد قليل وحرمان السواد الأعظم منها واسترسلت الرأسمالية في ارهاق القوى المنتجة وظلم الطبقات العاملة الضعيفة

ولكن هذه الطبقات ، في أوروبا وأمريكا ، تنبهت لما هي فيه من ضعة ومسكنة وطفقت تلمّ شعثها وتنادي بوجوب الجري على قاعدة التعاون بين الناس لا التنازع فالعامل إما في الارض أو في المصنع أو في الحانوت أو في المكتب أو أينما كان ـ ذلك العامل الذي استُعبد حتى الحرب الاخيرة لأصحاب الملك والمال ـ الذي استعمل وقوداً لهذه الحرب الطاحنة سداً لمطامع أفراد تولاهم الجشع وأرادوا أن يعتلوا على انقاض العامة وينفخوا أوداجهم ـ ذلك العامل الذي أنهكه القتال ، نهض من الخنادق حيث ضُحي أبوه واخوته شر تضحية ونفض عنه غبار الاستسلام ونادى باستقلاله الاقتصادي من مخالب الرأسماليين والمحتكرين وصمم ألاّ تعود حالته الى ما كانت عليه قبل الحرب وآلى على نفسه أن يموت أو ينزع من الافراد الملكية الخاصة أي أن يجعل جميع ثروات الانتاج والمقايضة ملكية عامة مشتركة ويحول المجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي أي اجتماعي وهو سوف ينال مراده تدريجياً عن طريق النظم البرلمانية والكفاح الحزبي فان أحزاب العمال والاشتراكيين في البلدان الغربية يكبر شأنها يوماً فيوماً وستنتقل سلطة الوازع اليها شيئاً فشيئاً الى أن يتسنى لها الاستئثار بالاحكام وسن الشرائع الآيلة الى اصلاح النظام الاقتصادي الحاضر .

بقي علينا النظر الى أمرين آخرين في المجتمع هما الآداب الاجتماعية ويدخلها العلاقات الجنسية والدين وسنفرد لهما مقالا خاصاً في عدد تالٍ ؟

القاهرة ـ بولس مصوبع

خرج أعرابي الى الحج مع اصحاب له . فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد اهله لقيه ابن عم له فسأل عن أهله ومنزله فقال : اعلم انك لما خرجت وكانت لك ثلاثة ايام وقع في بيتك الحريق . فرفع الاعرابي يديه الى السماء وقال . ما أحسن هذا يارب! تأمرنا بعمارة بيتك وأنت تخرب بيوتنا